ثقافة الحوار والتسامح في سوريا

أ. د. بـلال عرابـي*
أكاديمي وباحث من سوريا

* أستاذ علم اجتماع التغيير ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة دمشق.

مقدمة

الحوار مطلب جماهيري، ورغبة الجميع بتحقيق السلم والعيش المشترك مع كل أبناء الوطن الواحد بطمأنينة، من أجل مستقبل مشترك للجميع، وهو سبيل وحيد، وطريق أوحد لدخول المستقبل وتحقيق التنمية؛ لأن تجارب البشرية أثبتت أن الحروب جميع أطرافها مهزومون، وأن الوطن يتسع للجميع بدون قتال، وبالقتال لا يتسع لأحد.

يقدم هذا البحث رؤية لبناء وتمكين ثقافة الحوار في سوريا. ويقدم مقترحات حلول لأزمة مجتمع، من أجل تحقيق التسامح واحترام الآخر وتحقيق الديمقراطية... وصولاً للتنمية المنشودة التي لا يمكن أن تتم بدون شجاعة الحوار بين أبناء وطن يملكون فيه حقوقاً متساوية، ويقبل بعضهم بعضاً، وهذا القبول ليس تقبلاً للضرورة؛ وإنما قبولاً حضارياً يسمح بتحقيق الأهداف المجتمعية. ويناقش هذا البحث كيف يمكن للجهات والأفراد المختلفين في ثقافتهم ومعتقداتهم ومطلقاتهم، الوصول إلى تقارب عقلي وثقافي وحقوق متبادلة تسمح بالعيش المشترك. عبر توضيح ثقافة الحوار وأنواعه ومرتكزاته الذي تتمثل في التسامح واحترام الآخر والأسس التي ينبغي الاتفاق عليها من اجل بناء الدولة (الديمقراطية). ومعوقاته التي تتمثل بالتعصب والطائفية وإلغاء الآخر والدكتاتورية والتخلف، وذلك للتأكيد بأنه لا سبيل أمام المجتمع السوري للخروج من أزمته الراهنة إلا بثقافة الحوار التي عبرها تُحفظ حقوق الجماعات المختلفة بالوجود والاستمرار، وذلك للتطلع ببناء سوريا المستقبل.

أولاً: تعريف الحوار وثقافة الحوار

الوطن يتسع للجميع بدون قتال، وبالقتال لا يتسع لأحد.

تبدأ البحوث بتحديد المصطلحات التي يريد الباحث مناقشتها وتوضيحها وتميزها عن المصطلحات الأخرى القريبة والبعيدة، حتى لا يحصل التباس في ذهن من يتابع مجريات البحث، وهذا التحديد ضروري قبل كل مناظرة أو نقاش: ليكون الفهم موحداً في تناول قضايا النقاش المطروحة ولتوحيد المصطلحات بين طرفي المناظرة.

1 ـ الحوار Dialogue

لغةً: من المحاورة، **والمحاورة معناها**: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وذلك مشتق من الحور وهو الرجوع ويأتي بمعنى النقصان، وتحاوروا تعني تراجعوا الكلام بينهم، والتحاور من التجاوب، وإستحاره تعني استنطقه[1]. وعرفه (الضويان) بأنه الكلام المتبادل بين طرفين في أسلوب لا يقصد به الخصومة. وبيّن ابن منظور أنه حديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة الغرض منها الوصول إلى الحقيقة، بعيداً عن الخصومة والتعصب، بل بطريقة علمية إقناعية، فالحوار يبتغي الوصول إلى هدف محدد، أو لتوصيل معلومة أو للإقناع بفكرة ما يغلب عليها الهدوء، والبعد عن الخصومة. وعرفه البستاني: بأنه تفاعل لفظي بين اثنين أو أكثر من البشر يهدف إلى التواصل الإنساني وتبادل الأفكار والخبرات وتكاملها.

(1) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1978. ص13

أما الحوار اصطلاحاً: حديث بين شخصين أو أكثر وهو أسلوب في تصوير الطباع وبسط الحوادث في المسرحية. الحوار الفلسفي لون خاص من الحوار(محاورات أفلاطون مثلاً) يرمي إلى جلاء المعاني وتهذيب الأفكار.

والحوار السياسي عملية تتم بين عدة أطراف لمناقشة قضية سياسية ما، قد تكون محل اختلاف، إذ يتم تبادل الآراء بين الأطراف وصولاً إلى حالة من التوافق بين الاتجاهات حول القضية الخلافية، والهدف أما الوصول إلى توافق أو الوصول إلى حل بين أطراف متنازعة أو غير متوافقة. ويرتبط بمفهوم الحوار السياسي مفهوم التواصل بين أطراف النزاع، وهو تواصل يتم برغم الاختلاف والتباين في الآراء والمواقف السياسية. إذ إن بدون التواصل والاجتماع بالآخر لا يمكن ردم الفجوة بين الأطراف المتنازعة.

ويتضح من ذلك أن الحوار عملية تواصلية متكافئة بين اثنين أو أكثر بهدف الوصول إلى الحقيقة بعيداً عن الخصومة والتعصب.

المصطلحات التي لها علاقة بالحوار

أ ـ الجدال: وهو المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين، والجدل يأتي بمعنى الحوار كما في قوله تعالى :(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)[2].

(2) القرآن الكريم سورة المجادلة اية1

ويتضح من ذلك أن الحوار أوسع دلالة من الجدل. فكل جدل حوار لكن ليس كل حوار جدلاً. ذلك لأن الجدل فيه منازعة وقوة ومغالبة وخصومة، وينصر الفكرة إن كانت باطلة، وهذا ما لا يوجد في الحوار، والجدل مذموم عموماً لأنه انتصار للذات وإبراز للعضلات لإفحام الآخر.

ب ـ المناظرة: وهي تردد الكلام بين شخصين يقصد كل منهما تصحيح قول الآخر، وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما في ظهور الحق[3].

(3) أحمد الضويان، الحوار وأصوله وآدابه السلوكية، دار الوطن، الرياض، د.ت.

ت ـ المناقشة: وهي الاستقصاء في الكشف عن الشيء.

ث ـ المماراة: من المراء ويقال ماريته أي جادلته وهي من الحوار المذموم[4].

(4) محمد الجويني، الكافية في الجدل، مطبعة حسين البابلي الحلبي، القاهرة، 1399ه.

يؤكد المهتمون بأدبيات التربية أن الحوار من أهم أدوات التواصل الفكري والثقافي والاجتماعي والاقتصادي التي تتطلبها الحياة في المجتمع المعاصر؛ لما له من أثر في تنمية قدرة الأفراد على التفكير المشترك، والتحليل والاستدلال، وأنَّ الحوار من الأنشطة التي تحرر الإنسان من الانغلاق والانعزالية، وتفتح له قنوات للتواصل يكتسب بها المزيد من المعرفة والوعي، وأنه طريقة للتفكير الجماعي والنقد الفكري، الذي يؤدي إلى توليد الأفكار والبعد عن الجمود، ويكتسب الحوار أهمية أكثر لكونه وسيلة للتآلف والتعاون، وبديلاً عن سوء الفهم والتقوقع والتعسف.

أن الحوار عملية تواصلية متكافئة بين اثنين أو أكثر بهدف الوصول إلى الحقيقة بعيداً عن الخصومة والتعصب.

والحوار مهارة حياتية لا غنى عنها في المنزل وفي العمل وفي وسائل الإعلام... وفي التسويق للسلع والأفكار...، والحوار ضروري ليقنع الآباء أولادهم بوجهات نظرهم وإصلاح حياتهم، وفي السوق والعمل

يأخذ الحوار دوره الفعال في تسويق البضائع، وإقناع الزبائن بجودتها وفعاليتها وقدرتها على منافسة البضائع الأخرى.

الثقافة هي مجموع العقائد والقيم والقواعد التي يقبلها ويمتثل لها أفراد المجتمع.

والحوار وسيلة الموظف والعامل لإقناع رب العمل: بوجهة نظره لطريقة العمل الأنسب لإدارة المؤسسة وتحقيق أهدافها. واستعملت البرامج الإعلامية بمختلف أشكالها الحوار سبيلاً لتوضيح وجهات النظر المتقاربة أو المتباعدة حول موضوع معين.

2 ـ ثقافة الحوار

إن الثقافة هي مجموع العقائد والقيم والقواعد التي يقبلها ويمتثل لها أفراد المجتمع. ذلك أن الثقافة هي قوة وسلطة مُوجهة لسلوك المجتمع، تحدد لأفراده تصوراتهم عن أنفسهم والعالم من حولهم، وتحدد لهم ما يحبون ويكرهون ويَرغبون فيه، وطريقة كلامهم والألعاب الرياضية التي يمارسونها والأبطال التاريخيين الذين خلدوا في ضمائرهم، والرموز التي يتخذونها للإفصاح عن مكونات أنفسهم ونحو ذلك.

الثقافة نتيجة النمو التراكمي على المدى الطويل: بمعنى أن الثقافة ليست علوماً أو معارف جاهزة، يمكن للمجتمع الحصول عليها وإستيعابها وتمثيلها في وقت قصير، وإنما تتراكم عبر مراحل طويلة من الزمن، تنتقل من جيل إلى جيل عبر التنشئة الاجتماعية: فثقافة المجتمع تنتقل إلى أفراده الجدد عبر التنشئة الاجتماعية، حيث يكتسب الأطفال في مراحل نموهم الذوق العام للمجتمع.

الثقافة ترتبط بالحوار: فكل محاور ينتمي إلى ثقافة محددة، هذه الثقافة تحدد للفرد معطيات عامة، ينمو الفرد ويتحرك ضمنها، ويفهم الأمور والحياة العامة عن طريق ثقافته المجتمعية.

عندما تحاور شخصاً فأنت تحاور ثقافة تقابلك، لها معطياتها وأساسياتها، لا يمكن لك أن تقنع الآخر دون أن تفهم ثقافته ومحدداتها وبديهياتها، وبدون ذلك لا يمكن فهم المصطلحات المقدمة ولا يمكن الوصول إلى الآخر... عندما يتحاور شخصان، تتحاور ثقافتان. وهذا ينطبق على حوار أهل الشمال وأهل الجنوب، وعلى حوار المسيحيين والمسلمين ... وعلى

أن الثقافة ليست علوماً أو معارف جاهزة، يمكن للمجتمع الحصول عليها وإستيعابها وتمثيلها في وقت قصير.

كل حوار بين فردين من ثقافتين مختلفتين، إلى حد قليل أو كثير.

تعتمد ثقافة الحوار على قبول الحوار مع شريك حقيقي يريد الخير للوطن، كما أُريد الخير للوطن، وتوافق على قبول اختلاف الآخر، وقبول التعاون مع الآخر المختلف في ثقافته ومعارفه وقيمه عن ثقافتي ومعارفي وقيمي. . . فإن ثقافة الحوار فيها اتفاق وتعاون بين الأطراف تضع مصلحة الوطن ومستقبل الوطن فوق كل اعتبار في مجتمع ديمقراطي يضمن تساوي أطراف الحوار.

ثقافة الحوار هي الضمان الوحيد لحل مشكلات المجتمع الحالية والمستقبلية، وبذلك يكون التنوع الثقافي مصدر نعمة لا نقمة.

شيوع ثقافة الحوار هي الضمان الوحيد لحل مشكلات المجتمع الحالية والمستقبلية، وبذلك يكون التنوع الثقافي مصدر نعمة لا نقمة. ولثقافة الحوار في المجتمع مرتكزات تضمن نجاح الحوار، ومعوقات تلغي تحققه في المجتمع. فالتجارب العالمية تاريخياً أثبتت أن ثقافة الحوار هي السبيل الوحيد لحل مشكلات الصراع المجتمعية.

ثانياً مرتكزات الحوار في المجتمع ومعوقاتها

قد يبدو لأول وهلة أن الحديث عن مرتكزات ومعوقات الحوار، حديث عن أمرين مختلفين ومتعاكسين في علاقتهما بالحوار، لكن الحقيقة أن الحوار يقف وسطاً بين شرين كما تقول نظرية أرسطو بأن الخير وسط بين شرين: كما هي الشجاعة وسط بين التهور والجبن، وكلاهما شر. فالحوار الحقيقي يحاول التقاط اللحظة الحاسمة بين التحرر من القانون والتشبث ببيروقراطية وحرفية القانون. . . عندما نتحاور نحاول الوصول إلى الخير في تطبيق روح القانون وكذلك تطبيق قواعد العمل دون تسيب أو بيروقراطية. لقد وضع البحث جدولاً للمرتكزات والمعوقات كما يأتي:

مرتكزات الحوار	معوقات الحوار
1. التسامح	1. التعصب
2. احترام الآخر	2. عدم احترام الآخر
3. العلمانية (علمانية الدولة)	3. الطائفية (طائفية الدولة)
4. الديمقراطية	4. الديكتاتورية
5. التنمية (التعليم والعمل وسيادة القانون)	5. التخلف (الأمية والبطالة والفساد)

1 ـ التسامح Toleration

لقد اعتمد المؤتمر العام لمنظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، تعريفاً شاملاً للتسامح تضمنه الإعلان الذي أصدرته المنظمة عام 1995، إذ عرفت المادة الأولى منه التسامح بوصفه[5]:

(5) حميد نفل النداوي، ثقافة التسامح وجدلية العلاقة بين الأنا والآخر، المجلة السياسية والدولية، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، 2008، ص144.

أ ـ احترام التنوع والاختلاف وقبولهما عبر الانفتاح والمعرفة وحرية الفكر والضمير والمعتقدات، والتسامح ليس أخلاقياً فقط، بل سياسي وقانوني، وهو فضيلة تسهم في إحلال ثقافة السلم محل ثقافة الحرب.

ب ـ التسامح لا يعني التساهل والتنازل، بل هو اتخاذ موقف إيجابي يقر بحق الآخر في التمتع بحقوقه، وهو ممارسة يجب على الدول والجماعات والأفراد الأخذ بها.

ت ـ التسامح مسؤولية تشكل عماد حقوق الإنسان والتعددية، بما فيها التعددية الثقافية والديمقراطية وحكم القانون، وينطوي التسامح على نبذ الاستبداد و(الدوغمائية)، ويثبت المعايير التي تنصب عليها الصكوك الدولية الخاصة بحقوق الإنسان

ث ـ التسامح لا يعني قبول الظلم الاجتماعي أو تخلي الفرد عن معتقداته والتهاون بها، بل يعني تمسكه بمعتقداته، وقبوله تمسك الآخرين بمعتقداتهم، وهو إقرار بحق الفرد في العيش بسلام.

تسامح غاندي ودعوته للتعايش بين المسلمين والهندوس، هي سبب اغتياله فقد رفض غاندي تقسيم الهند.

إن فكرة التسامح تعني القدرة على تحمل الرأي الآخر والصبر على أشياء لا يحبها الإنسان ولا يرغب فيها، بل يعدها أيضاً مناقضة لمنظومته الفكرية والأخلاقية، ذلك أن قبول مبدأ التسامح وفكرة التعايش تعني تجاوز سبل الانقسام، الذي يقوم على أساس الدم أو القومية أو الدين أو الطائفة أو العشيرة أو غير ذلك[6].

(6) عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي، دار آراس للنشر، ط2، أربيل، كردستان العراق، 2011، ص75

إن تسامح غاندي ودعوته للتعايش بين المسلمين والهندوس، هي سبب اغتياله فقد رفض غاندي تقسيم الهند، وحث المسلمين على عدم الرحيل إلى باكستان، وحث الهندوس على التعايش مع المسلمين... لكن هذا التسامح أثار نقمة المتشددين، فاغتاله أحدهم عام 1948.

ونقيض فكرة التسامح هو اللا تسامح أي التعصب ورفض الآخر. والتعصب Fanaticism هو تعلق زائد بعقيدة معينة وعدم قبول غيرها، وهو رفض الفكر الآخر ورفض وجود الآخر، فالمتعصب جاهز لاستخدام العنف لإلغاء الآخر. وأبرز أشكال التعصب هو التعصب الديني والتعصب الطائفي. ويعد يعتبر المهاتما غاندي داعية التسامح والمقاومة اللا عنفية، كان غاندي يردد «لو كان هناك بديل أفضل من التسامح لاخترته، ولكني والحالة هذه لا أجد أفضل منه».

زرعت بريطانيا فكرة اللا تسامح في الهند قبل أن تضطر لمغادرتها، وزرعت بلجيكا الاستعمارية: اللا تسامح والتمييز بين قبيلتي (الهوتو) و(التوتسي)، مما أدى إلى مجازر مروعة عام 1994 في رواندا.

وقد ثبتت فرنسا مدة الانتداب على سوريا ولبنان عام 1920 ـ 1946 وتقسيم البلاد إلى أقاليم وطوائف، ليظل الاستعمار الفرنسي مسيطراً... واليوم المستفيد الأكبر مما يجري في سوريا هو الكيان الصهيوني الذي يصب الزيت على النار، ويصب القتال والحرب على سوريا في مصلحته مباشرة.

نعرف بأن العراق عانى كثيراً من غياب التسامح وشيوع التطرف عبر تاريخه. وقد زاد الانقسام الاجتماعي والطائفي بعد الاحتلال الأميركي للعراق 2003، لذلك **نجد مفكراً من العراق هو عبد الحسين شعبان، يجد بأن التسامح هو أساس النهوض المجتمعي ووقف العنف المجتمعي عن طريق فرضيات التسامح**، وهي[7]:

(7) المصدر نفسه، ص156

- التسامح يبدأ بالإقرار بمبدأ نسبية المعرفة الذي أخذ به سقراط وطوره فولتير.
- الاعتراف بفكرة الاقتراب من الحقيقة.
- عدم العصمة.
- احترام التنوع الثقافي والانفتاح على الآخر.
- الإقرار بالاختلاف بين البشر بطباعهم ومظاهرهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم.

- اتخاذ موقف إيجابي من الآخر دون التنازل عن حقوق الأنا.
- ضمان الدولة للعدل وعدم التمييز في التشريع وإنفاذ القانون.
- التسامح ضروري على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع.
- التعليم والتربية عن طريق المدرسة هو أنجح وسيلة لقبول الاختلاف ونشر التسامح.

2 ـ احترام الآخر

عندما يقول جان بول سارتر(الآخرون هم الجحيم)، فهو يقصد مدلولاً فلسفياً واجتماعياً. فالآنا هو اهتمامي بذاتي ووجودي بعيداً عن الآخرين، واجتماعياً تفسر المقولة بأن الآخرين يفرضون على الفرد كل معطيات وعادات وتقاليد الجماعة، فالآخرون هم سبب تكون الفرد اجتماعياً، وهم سبب كسر الأنا لتتأقلم وتصبح كائناً اجتماعياً مطاوعاً. ونحن سنستخدم احترام الآخر بمعنى المغاير للذات الأنا، وهذا الاستخدام لفهم العلاقة بين الجماعات والأفراد، وليس لعلاقة الفرد بالآخرين كما يريد سارتر. المقصود كيف نفهم الآخر المغاير وكيف نحترم وجوده واختلافه.

يقوم الناس بتشكيل أدوارهم وقيمهم ومنهج حياتهم قياساً ومقارنة بالآخرين.

والآخر: اسم خاص للمغاير يقال للأشخاص والأشياء والأعداد، ويطلق على المغاير في الماهية ويقابله الأنا، والاثنان يتمثلان في الوعي، وكلما زاد الوعي، زاد الإحساس بالأنا وبالآخر، وليس المقصود بالآخر كما هو في الواقع، وإنما كما أعيه أنا. والغيرية هي أن أؤثر الآخر على نفسي عكس الأنانية وهي أن أؤثر الأنا، أي النفس على غيري.

وأن مفهوم «الآخر» عنصر أساس في فهم وتشكيل الهوية، إذ يقوم الناس بتشكيل أدوارهم وقيمهم ومنهج حياتهم قياساً ومقارنة بالآخرين، كجزء من منهجية التفاعل البيني التي لا تحمل بالضرورة معاني سلبية[8].

(8) عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 2000.

ماذا نعني بتقبل الآخر؟ تقبل الآخر يعني احترام الآخر وتقدير وتفهم ما لديه من أفكار وقيم وتقاليد الخ...، كذلك فإن تقبل الآخر يرتبط بتقبل الذات بكل ما فيها من قوة وضعف، فإذا تقبلت نفسي فأنني سأتقبل الآخرين.

إن تقبل الآخر عملية تربوية بالدرجة الأولى لأن الإنسان كائن اجتماعي

بطبعه، ويولد صفحة بيضاء كما تقول المدرسة السلوكية في علم النفس، وسلوكياته متعلمة، فتقبل الآخر هو سلوك متعلم يتربى الفرد عليه من قبل المؤسسات التربوية الأخرى، كالمدارس والمؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية والأحزاب السياسية، والتي تساهم في تشكيل شخصية الفرد ولها دور كبير في تربية مفهوم وثقافة تقبل الآخر، إذا اعتمدت في تربيتها نهج الاعتراف بالآخر، وانطلقت من مفهوم أن لا أحد يمتلك الحقيقة الكاملة، ومن ثَمَّ ليس هناك ما هو مطلق في تبني الآراء والمواقف.

ما هي المكاسب التي يمكن أن تتحقق من تقبل الآخر؟ تتكون المعرفة عن طريق التواصل ويزداد تبادل الخبرات وتغنى التجارب لدى الأفراد، وتزول الأفكار السلبية التي ترتبط بذهن الإنسان عن غيرة دون معرفته، ولكن إذا عرفت الآخر فإنك ستأخذ منه وسيأخذ منك فالعملية متبادلة والعلاقة ستكون علاقة تكافؤ.

وهنا تكمن الإجابة في كيف يمكن أن أكون متحيزاً لما لدي وأتقبل الآخر؟ بل وأؤثّر فيه ويؤثر فيّ أيضاً، فلكل فرد الحق في التحيز لما لديه، ولكن هذا لا يمنع من احترام ما لدى الآخر وفهمه ورؤيته للأمور من منظور الآخر وتجربته، وبهذا يزداد الإحساس والشعور والتعاطف مع الآخر، وهذا يعني القوة في الذات، فالآخر لا يهددني، بل يكملني، لأن ثقتي بما لديّ كبيرة، والآخر المجهول أصبح معلوماً بفضل معرفته والتقرب منه وفهمه، فالتاريخ يبين لنا أن الحضارة الإنسانية بنيت وقامت نتيجة تقبل الأفراد لبعضهم، ونتيجة توجيه العقل البشري عن طريق التقارب لما فيه خير ومصلحة الإنسان بعيداً عن التعصب الأعمى وتأجيج الصراعات ومحاولة إلغاء الآخر الذي لا يمكن إلغاؤه لأنه موجود. بهذا يشعر الفرد بالرضا والتسامح والمحبة، ويبتعد عن الحقد والكراهية، وتزداد فرص نجاحه، وبالتالي تتحسن صحته النفسية.

أن الحضارة الإنسانية بنيت وقامت نتيجة تقبل الأفراد لبعضهم، ونتيجة توجيه العقل البشري عن طريق التقارب.

اعتقد أن هناك العديد من المفاتيح التي يمكن أن توصلنا إلى تقبل الآخر، ومنها أن نتربى على التسامح والمحبة واحترام الحرية الشخصية والخصوصية للفرد، وحرية الفكر والتعبير، وبهذا نكون مسؤولين، فالمسؤولية تتطلب قبول الآخرين واحترامهم.

قبول الآخرين جزء من قبول الذات والثقة بها. . . إن وجودي لا يكتمل إلا بوجود الآخر، وكل فهمي لذاتي يتم على طريق الآخرين وكذلك تقديري لإمكاناتي، ولا يمكن بناء ثقافة الحوار إلا بين أفراد متساويين، يحترم كل منهم وجود الآخر، ويحترم كل معتقداته وآرائه برغم عدم اتفاقه معها.

3 ـ العلمانية وتجاوز الطائفية

العلمانية Secularism ترجمت بمعنى الدنيوي أو غير الديني أو غير المقدس، والعلماني شخص يهتم بالعصر وشؤون الدنيا، والتعليم العلماني في أوروبا هو التعليم الذي لا يتبع الكنيسة. والعلمانية مفهوم أسال الكثير من المداد، ولكنه عموماً يتصل بالحياة المحيطة بالبشر، ولا يتصل بالدين، والتفصيل الموجود في العنوان بين قوسين (علمانية الدولة) هو تفصيل يرتبط بغاية البحث وهو مرتكزات الحوار، لتوضيح أن مرتكز الحوار هو في علمانية الدولة، وأن التطرف يقع عندما تكون الدولة متطرفة دينياً أو طائفياً لصالح فئة ما.

(علمانية الدولة) هو الضمان لحوار يحقق المساواة بين أطراف التفاوض والمطالبات حتى من العلمانيين أنفسهم. ففي المجتمعات العلمانية الحرية الدينية مضمونة للجميع، وجميع المواطنين متساوون أمام القانون، فالمجتمعات العلمانية هي مجتمعات متعددة أديان وليست ملحدة. وعن طريق العلمانية يمكن تجاوز الطائفية، ولكن نتساءل كيف تتشكل الطائفية؟

وحين لا يكون عند الفرد منظومة فكرية خاصة يتبنى منظومة جاهزة من عائلته، وبما أن الأهل مصدر محبة وثقة الفرد، فإن الإيمان بما يؤمنون يبدو وعياً بالوراثة.

يبدو أن الهوية الدينية تتشكل بالتمايز عن الهويات الأخرى، عندما يعي الفرد أنه مسيحي أو مسلم أو درزي أو سني أو شيعي. . . بالفوارق عن المذاهب الأخرى يصبح وعياً بالتمايز، والأخطر وعياً بالآنا والعائلة والمحيط الخاص.

وحين لا يكون عند الفرد منظومة فكرية خاصة يتبنى منظومة جاهزة من عائلته، وبما أن الأهل مصدر محبة وثقة الفرد، فإن الإيمان بما يؤمنون يبدو وعياً بالوراثة. تتغذى هذه الطائفية بجهل الفرد بالآخر من مذهب مغاير، وهذا الجهل يؤدي إلى تصديق الأوهام التي تقال عن الآخر من عائلة خاصة موثوقة. أود أن أؤكد قضية أخرى في شيوع الطائفية وتأثيرها، ترتبط بموقف

الآخر، نظرة الآخرين إليك بوصفك من طائفة معينة، تعزز تمايزك، أحد شخصيات ثلاثية نجيب محفوظ شيوعي يدافع عن مسيحيته، وحين يستغرب ذلك صديقه كمال؟ يقول رياض قلدس القبطي: بأن المسيحية ليست معتقداً بالنسبة لي، إنها وطن... انتماء. يشعر رياض بأنه ينتمي إلى أقلية مضطهدة، تحتاج أن تدافع عن وجودها ومصيرها قبل معتقداتها.

المدافع عن مذهب معين (ديني أو سياسي) استمده من أسرته ومحيطه الشخصي، يتحول دفاعه إلى دفاع عن الأنا وعن العائلة المهددة بالآخر المغاير، والحجج المنطقية لا عمل لها هنا، لأن الفرد يعمل بلا وعي، لحماية ذاته غير الخاضعة للمنطق، ويعمل لرد الأذى بغض النظر عن مصدره، ومسوغات الفعل الذي يقوم به، والحجج المنطقية تأتي بعد تبني فكرة ما، وليس العكس، بما أن الغاية هي الدفاع عن الذات وعن العائلة ـ الطائفة، فإن الفرد يخرج حججه ومسوغاته بعد توتره استعداداً للهجوم، يبحث عن حجج فيجدها، وضعية الدفاع تقتضي إشهار السيف وبعد ذلك تجهيز الحجج وتنمية روح العنف.

لكن الضمان للحوار بين الطوائف، والتحول نحو الفكر اللاطائفي، الانتماء الوطني لا يتم إلا بعلمنة الدولة وإلغاء كل أشكال الطائفية السياسية والطائفية الدينية. هناك اتجاهات إسلامية متعددة تقبل العلمانية ضمن الفكر الإسلامي، وتقبل علمانية الدولة لأن القرآن الكريم لم يحدد نموذجاً معيناً من أشكال الحكم، أي أن النموذج العلماني يمكن أن يكون في دولة مسلمين، وقد أعلن حزب الوفد في مصر «الدين لله والوطن للجميع»، وأن أفضل طريقة لضمان التناغم الاجتماعي هي حصر الدين في المجال الخاص[9].

الدين عالمي وشمولي، بينما السياسة محدودة ومقصورة على الزمان والمكان.

(9) هيبارد، المصدر السابق، ص135.

ويرى محمد سعيد عشماوي أن المجال السليم للدين يتعلق بالضمير، وأن الدين عالمي وشمولي، بينما السياسة محدودة ومقصورة على الزمان والمكان... أما عند المتشددين إسلامياً الدولة المدنية هي دولة غير دينية، وفصل الدين عن الدولة هو الحاد[10].

(10) المصدر السابق.

في رواية فرح أنطون الفكرية (الدين والعلم والمال)، يقول (لا مدنية حقيقية ولا عدل ولا مساواة ولا أمن ولا آلفة ولا حرية ولا علم ولا فلسفة ولا تقدم في الداخل، إلا بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية...)، وهذا

رأي الشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وهو أن الإسلام لا يوجد فيه سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والعودة إلى الخير والتنفير من الشر[11]. ومنذ كتاب علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) عام 1925، الذي فصل فيه الإسلام عن الدولة وعن السياسة، وأقر أن الإسلام لا يقدم نموذجاً لإدارة الدولة... والإسلاميون منقسمون بين مؤيد ومعارض.

(11) عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي، مصدر سبق ذكره، ص138.

التوجه العام في سوريا هو فصل الدين عن السياسة لأن التنوع الطائفي والإثني الكبير فيها، يجعل قيام حكم يعتمد على مكون واحد أو طائفة واحدة غير ممكن، ولقد حاولت الدولة عبر عشرات السنين أن تكون حيادية طائفياً، لتحقيق الاندماج الاجتماعي والتعاون بين مكونات المجتمع المختلفة، ولقد عززت مناهج التربية التي تربينا عليها مفهوماً قومياً للدولة.

وحتى نهاية عام 1981 بقي الدين محصوراً بالنشاط الشخصي للفرد والتدين علاقة خاصة بالمسجد أو في المنزل. وأكد دستور الجمهورية العربية السورية عام 1973 في المادة الثالثة: 1 ـ أن دين رئيس الجمهورية الإسلام.

2 ـ أن الفقه الإسلامي مصدر رئيس للتشريع.

وحافظت هذه المادة على نصها في دستور عام 2012، لكن أضيف لها فقرة ثالثة «أن الدولة تحترم جميع الأديان وتكفل حرية القيام بجميع شعائرها على ألا يخل ذلك بالنظام العام».

الدستور لا يدل أن الدولة علمانية، ولا يمكن أن تبعد الدين عن الممارسة السياسية، لأن المزاج المجتمعي لا يسمح بذلك.

اصطدمت الحكومة عام 1981 مع جماعة الإخوان المسلمين، التي حاولت فرض حرب طائفية في سوريا، وتغيير نظام الحكم، وبعد أن أظهرت الدولة قوتها وتمكنها السياسي، مالت إلى تشجيع الإسلام المعتدل، وظهرت عام 1984 جمعيات وروابط الأسد لتحفيظ القرآن الكريم، مما يفهم منه أن سوريا ومختلف الدول العربية لم تستطع أن تصل إلى علمانية الدولة، لأن مكونات المجتمع السكانية الشعبية أي الغالبية لا تسمح بذلك.

ألغت الدولة العثمانية علاقتها بالإسلام، حينما فصلت السلطنة عن الخلافة، وألغت منصب شيخ الإسلام منذ عام 1922.

لقد ألغت الدولة العثمانية علاقتها بالإسلام، حينما فصلت السلطنة عن الخلافة، وألغت منصب شيخ الإسلام منذ عام 1922، وطبق مصطفى كمال مبادئه الست(الجمهورية/ القومية/ الشعبية/ التدويل/ اللا دينية/ الثورية)، وأغفل دستور تركيا عام 1928: تركيا دولة إسلامية» ودعا إلى استعمال الأحرف اللاتينية. . . ، مع أن كل حروب العثمانيين كانت باسم الإسلام ودفاعاً عن الإسلام، وكان يتهم بالخيانة للإسلام والكفر: كل من يقاتل جمال باشا السفاح، لأن الأخير يقاتل الإنكليز الكفرة ويدافع عن الإسلام. الاحتلال العثماني للوطن العربي استمر 400 سنة، لأنه استخدم بالدين قناع لاستغلال الشعب العربي من المحيط إلى الخليج[12].

(12) عاصم الدسوقي، الدين والدولة في العالم العربي، أعمال ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ط1، القاهرة، 2003. ص44

اليوم تدعم تركيا الجماعات المتطرفة في سوريا بحجة حماية الإسلام، وبأنها المدافع عنه في العالم، والحقيقة هي أن لتركيا مصالح مشتركة اقتصادياً وجيو سياسياً مع دول الخليج لتخريب سوريا الصاعدة تنموياً، إن تخريب حلب وتهريب مصانعها إلى داخل تركيا، جعل لتركيا مصلحة واضحة في تحويل الأموال وحركة البضائع باتجاه اسطنبول.

المتنورون في سوريا يُعرفوّن بالاستغلال الديني في الأزمة السورية منذ عام 2011 لتجييش الناس، واستغلال الإسلام لمصلحة قوى استعمارية خارج سوريا، التي تريد التغيير خراباً لمصلحتها وعلى رأس هؤلاء الكيان الصهيوني، الذي من مصلحته دمار البنية التحتية، وإضعاف سوريا، ودفع البلاد لاقتتال داخلي مقيت.

اليوم تدعم تركيا الجماعات المتطرفة في سوريا بحجة حماية الإسلام، وبأنها المدافع عنه في العالم.

لقد عملت الجماعات المتطرفة خلال فترة الأزمة السورية على الوتر الديني، وإظهار التفاني في خدمة الإسلام ضد أعداء الإسلام، واستبعاد أي مفكر ديني يعارض من وجهة نظر الدين الحنيف سياسات الفتنة: فأغتالت عصابات ظلامية المفكر الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، فقط لأنه دعا إلى تحكيم العقل وتجنب الفتنة، لأن ذلك يؤذي المسلمين ويؤذي الإسلام ويدمر سوريا. وهددت كذلك مفتي الجمهورية العربية السورية الشيخ أحمد بدر الدين حسون لأنه يقول: أنا سني باقتدائي وشيعي بولائي وسلفي بجذوري وصوفي بحبي. ويقول بأنه يصلي في المسجد والكنيسة. . . فالمساجد والكنائس هي بيوت الله.

نجد في فكر الشيخ حسون توجهاً للإسلام الصحيح الذي نريده لبلدنا وشعبنا، فلا أحد يريد رفض الدين وليست العلمانية رفضاً للدين ـ كما يدعي الإخوان المسلمون ـ ، وإنما مجال رحب لتعايش الأديان وللحرية الدينية البعيدة عن فرض الرأي وإجبار الآخر. . . أو قتله!

أن ما يفعله الإسلام المتعصب والمتطرف التكفيري اليوم في سوريا يندرج في مشروع سياسي لا ديني.

يرى الشيخ حسون ضرورة فصل الدين عن السياسة، معتبراً أن ما يفعله الإسلام المتعصب والمتطرف التكفيري اليوم في سوريا يندرج في مشروع سياسي لا ديني، أي أنه يجني من الدين مكاسب سياسية، ومشروع الإخوان سياسي لا ديني، ولا إيماني، ولا صلة له تالياً بالعقيدة أو الرسالة[13].

www.sshp.info 2012/4/16 (13)

دعا الدكتور أحمد بدر الدين حسون إلى إلغاء مادة التربية الدينية في المدارس في سوريا، والتركيز على مادة التربية الوطنية والتربية الأخلاقية، وهو طرح متقدم من مصدر إسلامي قد يكون حتى متجاوزاً في طموحه بالنسبة إلى الواقع مجتمعنا، فقد استدعى العديد من التعليقات والردود، لأن بعضهم يعتقد بأن التربية الدينية حالياً كتاب واحد لكل المذاهب، وهي خطوة أفضل من اللجوء إلى مذاهب متعددة في مجتمع لا تستطيع فيه تحييد الدين. من التعليقات من يكفر الشيخ حسون ويعتبر إلغاء مادة الديانة إلغاء لكل المناهج الدراسية. من التعليقات إن مادة الديانة لم تخرج التكفيريين، والمقصود أن التكفير ظهر من المساجد ومن بعض شيوخ الفتنة في سوريا وليس من التعليم الرسمي.

يقول المحلل السياسي أحمد الحاج علي خلال الندوة التي احتضنها اتحاد الكتاب العرب في دمشق: من الأفضل استعمال مصطلح «نزعة التكفير والتطرف» بدلاً من «الفكر التكفيري»، لأن الفكر يصدر عن العقل ويهدف إلى البناء ويقبل الحوار، ويسعى إلى تحقيق التقدم الإنساني ويقبل الآخر، ويقوم على الحب والتسامح، أما نزعة التكفير والتطرف فتصدر عن الغرائز ولا تسمح بمخالفة رأيها، وتلجأ للعنف والقتل والإرهاب وتعزيز الكراهية والتناحر بين مكونات المجتمع، وهي تخالف مبدأ المواطنة والسلم الأهلي والأمن الإنساني. ويبين الحاج علي أن نزعة التكفير والتطرف قديمة وموجودة في كل العقائد الدينية، وهي دخيلة عليها وتتناقض مع جوهر الديانات القائم على الخير والبناء والتسامح والمحبة، كما أنها دخيلة

نزعة التكفير والتطرف فتصدر عن الغرائز ولا تسمح بمخالفة رأيها، وتلجأ للعنف والقتل والإرهاب وتعزيز الكراهية.

على الثقافة العربية الأصيلة وبخاصة الإسلام، بوصفه رسالة حضارية للإنسانية جمعاء. ولفت إلى أن هذه النزعة تريد بناء نسق من الأفكار الزائفة، لتجعل منها بديلاً يريد القضاء على العروبة والإسلام وعلى العقائد الدينية، وإفراغها من مضمونها الإنساني، مشيراً إلى أن جملة من العوامل أسهمت في نشوء النزعة التكفيرية والتطرف، على رأسها الفساد بكل أشكاله، والتهميش السياسي والاقتصادي والفكري لشرائح المجتمع، وأخطرها اختراق المؤسسة الدينية، وشراء الضمائر، إضافة لتقصير الأحزاب والمنظمات الشعبية التقدمية في تجديد فكرها، وتقصير الوزارات كالتربية والثقافة والأوقاف والإعلام والتعليم العالي في مواجهة هذه النزعة[14].

الفكر التكفيري الذي هو نزعة انفعالية رافضةً للآخر، وهذا ينطبق على ما تفعله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش).

(14) جريدة تشرين السورية. 25/ 3/2014.

الفكر التكفيري الذي هو نزعة انفعالية رافضةً للآخر، وهذا ينطبق على ما تفعله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، أفعال تقضي على آلاف السنين من نضال الإنسان لتحقيق الحرية والعدالة والمساواة، مدعية أنها تقوم بإعادة نموذج دولة عام 700 للميلاد، وهو ادعاء كاذب لأن دولة الخلفاء الراشدين، كانت أبعد ما تكون عما تعلنه وتفعله داعش، ويستخدم (أبو بكر البغدادي) «خليفة» العصر الجديد نفس تعابير أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته، دون أن يتمثل أخلاق الخليفة الأول لرسول الله: فقد أوصى الخليفة أبو بكر الصديق أمراء الجيوش (لا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأةً ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله)، وأمر جنوده بعدم التعرض للعابدين في الصوامع[15].

(15) عبد الحسين شعبان، الإسلام وحقوق الإنسان، دار بيسان، ط2، بيروت، 2014. ص257

أما تدمير الكنائس والمقامات الدينية وذبح اليزيديين، فهو فكر لا يمت للإسلام، ولا يمت للفكر الإنساني الحضاري بأية صلة، إنما يتطابق مع فكر الخوارج الذين كانوا يمتنعون عن أكل تفاحة من بستان على الطريق من دون إذن صاحب البستان، ويبقرون بطن الحامل فيقتلونها مع جنينها إذا رفضت فكرهم!

4 ـ الديمقراطية

لقد اقترنت الديمقراطية عبر تطور طويل بحكم الشعب المباشر أولاً ثم عبر

ممثلين، واقترنت أيضاً بإلغاء العبودية والتسامح الديني والانتخابات العامة والأحزاب المتنافسة والاقتراع السري.[16].

(16) عبد الحسين شعبان، الانتخابات والتغيير، الثورة في صندوق الاقتراع، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ط1، بيروت، 2014. ص33

إن الديمقراطية منهج للعمل السياسي يسمح بالمشاركة السياسية لأطراف وجماعات مختلفة، في تطلعاتها وطريقة عملها لتحقيق أهداف المجتمع.

نعتقد بأن المجتمعات الديمقراطية تسهل الحوار بين الأطراف وتسمح بتداول السلطة، وبحرية المعتقد، وبحق الآخر في الوجود والحياة، خلافاً للأنظمة الاستبدادية، والأنظمة الشمولية أو الديكتاتورية... حيث يرى المفكر الألماني رالف داندروف أن النظام الاستبدادي الشمولي، ذو علاقة بنظام سياسي مبني على إخضاع الفرد للدولة، والسيطرة على جميع مظاهر حياة الأمة وطاقاتها(المنتجة والمؤيدة للديكتاتورية). وفي المجتمع الشمولي تحرك الفرد على السلم الاجتماعي محدداً ومقنناً من قبل السلطة الحاكمة، بسبب حداثة السلطة الحاكمة التي تحتكر السلطات (السياسية والاقتصادية والتربوية)[17].

إن الديمقراطية منهج للعمل السياسي يسمح بالمشاركة السياسية لأطراف وجماعات مختلفة، في تطلعاتها وطريقة عملها لتحقيق أهداف المجتمع.

(17) معن خليل العمر، ثنائيات علم الاجتماع، دار الشروق، ط1، عمان، الأردن، 2001. ص153.

لا يمكن في النظام الاستبدادي أن يحقق الحوار غايته، لأنه لا يوجد تساوي بين الأفراد وبين الأطراف الممثلة للرأي والرأي الآخر؛ لأنه لا يوجد رأي آخر.

كل تمايز عن الآخرين، وتفضيل لمجموعة معاد للديمقراطية، كل من يتمايز بهويته الدينية عن الآخرين لأسباب نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية: يبتعد عن الديمقراطية، لأن الاستقلال أكثر تكلفة من الاندماج في جماعة... والتحزب لدين أو عقيدة أو مذهب؛ يُدخل الفرد في الأنظمة الشمولية. ذلك ينطبق على التدين والتمذهب السياسي، وتفرد الحزب أو العائلة. فلقد عانت شعوب الاتحاد السوفيتي من التمترس في مدة «جوزيف ستالين» وراء توجه سياسي معين، يرفض أي توجه آخر، إذ اختصر «ستالين» شعوب الاتحاد السوفيتي بالحزب الشيوعي السوفيتي، واختصر الحزب الشيوعي السوفيتي باللجنة المركزية للحزب، واختصر اللجنة المركزية بنفسه فقط... وهذا قمة الديكتاتورية والأحادية في التعامل مع قضايا المحيط والمجتمع والسياسة المتغيرة باستمرار.

كل من يتمايز بهويته الدينية عن الآخرين لأسباب نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية: يبتعد عن الديمقراطية.

لا مجال للحوار في كل نظام استبدادي، ولا لثقافة الحوار وقبول الآخر، وفي كل نظام شمولي (دينياً أو ايديولوجياً) لا يمكن لثقافة الحوار أن تنمو وتتحقق. لا يوجد في ملعب الديكتاتورية إلا لاعب واحد، في مجتمع له آذان وليس له أفواه.

5 ـ التنمية

يظهر تمكين ثقافة الحوار عن طريق التسامح، وإلغاء التعصب، عن طريق احترام الآخر وإلغاء الطائفية، لكن التنمية المجتمعية الشاملة بجوانبها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، هي البيئة الصحيحة لمجتمع مستقر تنتفي فيه الطائفية والتعصب، لأنه مجتمع سيادة القانون وشيوع التعليم الذي يساوي بين المواطنين في الحقوق والواجبات. وفي ظروف التخلف لا يمكن تحقيق الديمقراطية ولا إيصال الحقوق لأصحابها، لأن تخلف الوطن يعني مستويات متدنية من التعليم، وشيوع الأمية التي هي مرتع خصب للتطرف. والجهل برأي «هولباخ» أبو الخطايا، وبوجود التخلف لا يوجد مشاريع إنمائية للتشغيل، فتزداد البطالة، والبطالة أيضاً مرتع خصب للانحراف والرغبة في تحصيل العيش بالطرق غير الشرعية، من داخل البلد أو من خارجها.

في كل نظام شمولي (دينياً أو ايديولوجياً) لا يمكن لثقافة الحوار أن تنمو وتتحقق. لا يوجد في ملعب الديكتاتورية إلا لاعب واحد.

تخلف الوطن وانخفاض مستوى التعليم وقلة فرص العمل والإنتاج الحقيقي، يعد مرتعاً خصباً لنمو بيئة الفساد، في وظائف الدولة الشحيحة ومتدنية الأجور... ذلك بأن بيئة الفساد تؤدي إلى ضياع هيبة الدولة وتقويض سلطة القانون في المجتمع وضياع الحقوق، وهي أهم قضايا بناء الدولة العصرية، دولة المواطنة ـ وهي أهم قضايا التنمية ـ فيها سيادة القانون تعني سيادة الوطن وكرامة المواطن، يقول هيراقليط (على الشعب أن يحارب من أجل القانون كما يحارب من أجل سور المدينة)، لأن سيادة القانون تعني قيام الدولة وتجاوز القانون يعني انهيار مؤسساتية الدولة، وانهيار كرامة المواطن وقيم المواطنة.

بيئة الفساد تؤدي إلى ضياع هيبة الدولة وتقويض سلطة القانون في المجتمع وضياع الحقوق.

تنمية المجتمعات دولياً هي الجيل الثالث لحقوق الإنسان، **فالجيل الأول** أهتم بالحقوق المدنية والسياسية بصدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 10\12\1948، **والجيل**

الثاني أكد الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بصدور العهد الدولي لذلك عام 1966 عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، ودخل حيز التنفيذ عام 1976، **والجيل الثالث** أكد على الحق في التنمية كحق اجتماعي وفردي عام 1986، ومن الجيل الثالث الحق بالسلام والحق في بيئة نظيفة والحق في الاستفادة من منجزات الثورة العلمية التقنية، **والجيل الرابع** شمل الحق في التعددية والتنوع الثقافي والحق في الديمقراطية[18].

(18) عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي، مصدر سبق ذكره. ص220.

والتنمية بمفهومها الحديث هي كل متكامل سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ومدنياً، ولا يمكن تغليب جانب على آخر، ومخطئ من يفهم التنمية بأنها النمو الاقتصادي والتقنية المتطورة، لأن ذلك أحد جوانب التنمية فقط. ومبادئ المواطنة في الدولة العصرية تقوم على ثلاثة أركان:

الركن **الأول**: المواطنة المدنية أي حق الفرد في التملك وحق الجنسية.

الركن **الثاني**: المواطنة السياسية وتشمل الحقوق السياسية وحق المشاركة في إدارة الشؤون العامة، وحق الانتخاب والترشح (ذكراً كان أم أنثى)، وصولاً لأعلى المناصب.

الركن **الثالث**: المواطنة الاقتصادية الاجتماعية الثقافية أي المواطنة التي تقوم عليها هذه الحقوق: وتضمن الحق في الصحة والتعليم والضمان الاجتماعي، والحق في السكن، والتمتع بأوقات الراحة[19].

(19) المصدر نفسه، ص222.

هذه الأركان تربط التنمية في الدولة العصرية بقضايا المواطنة، وحقوق الإنسان التي تجعل من التنمية أساساً لتحول ديمقراطي متوازن، يسمح بمشاركة وتطور مختلف فئات المجتمع، وكل فرد في المجتمع. ومبادئ المساواة بين الناس يحتاج إلى تعليم متوازن وتفاعلي، يؤكد على مشاركة المتعلم في تحصيل المعرفة، على أسس المساواة بين طلاب العلم والمعرفة، من أجل نهضة تعليمية تخدم التنمية المتوازنة، فالتعليم بدون ديمقراطية التعليم بين المتعلمين أنفسهم، وبين المعلم والمتعلم، لا تحقق ولا تنجح فلسفة التعليم وغاياته. وأن يكون التعليم ديمقراطياً يسمح بتبادل الآراء وصقل القدرات والمعارف بالتشاركية والتفاعل في الصف... وهي أساس التشاركية والتفاعلية في الحياة العامة في المجتمع.

أن غالبية دعاة جماعة الإخوان المسلمين من مجالات علمية واختصاصات بعيدة عن الفهم الصحيح للدين.

إن التطرف ينمو بقوة في المجتمعات الأمية، لأن الأمية تشجع أحادية التفكير والأخذ عن شيخ نصف أمي، يقدم معلومات بسيطة، تبدو للأمي عظيمة القيمة ومؤثرة لأنها ترتبط بالمقدس وبأهوال يوم القيامة... وإلا ما معنى أن غالبية دعاة جماعة الإخوان المسلمين من مجالات علمية واختصاصات بعيدة عن الفهم الصحيح للدين، وبعيدة عن فهم الأزهر الشريف ... أظهرت التحقيقات مع جماعات تكفيرية في مصر: أن الدعاة ـ الذين أثروا في هؤلاء التكفيريين ـ إما سباك وإما خارج التعليم أو متسرب من الصفوف الأولى... حتى من نراهم على شاشات التلفاز اختصاصاتهم اقتصاد، بيطرة، طب، هندسة... وهذا يطابق أسماء كبيرة في الدعوة، لأن التخصص في الشريعة الإسلامية والتعمق في ديننا الإسلامي، يجعل المتخصص أكثر ميلاً للوسطية والاعتدال وأكثر بعداً عن التطرف والعنف.

أحد أسباب ظهور الدغمائية وأحادية التفكير والتطرف، هو حفظ نصوص مغلقة لا يمكن نقاشها أو التعارض معها، أو حتى فهمها، لأنها نصوص مقدسة: يجب حفظها فقط. الاعتراض هنا هو على حفظ القرآن، لأن مثل هذا الحفظ يجعل القرآن الكريم خارج الفهم، وخارج الزمان والمكان، ويلغي غاية التنزيل الحكيم في التدبر والفهم والعمل به، والتفكر في معانيه وأحكامه... بينما آيات الذكر الحكيم كلها تدل على التدبر والفهم كما نجد في القرآن الكريم: (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) (سورة النساء، آية 82). (أفلا يتدبرون القرآن أو على قلوب أقفالها) (سورة محمد، آية 24). (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) (سورة يونس، آية24). (كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (سورة الرعد، آية3). وآيات كثيرة غيرها تؤكد أن غاية القرآن الكريم هو التفكر في هذه الآيات وتدبرها، وإمعان الفكر في غاياتها ومعانيها وليس مجرد حفظها.

الحفظ ينمي الحفظ، ويثبت الكلمات بطريقة آلية غير تفاعلية، وهي عملية تعاكس الإبداع والتحرر والتنوير واستعمال العقل.

في القرآن الكريم دعوات للترتيل ولا يوجد دعوات للحفظ، وعلى العكس إن الله عز وجل يتكفل بحفظ ودوام ذكر القرآن الكريم (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (سورة الحجرات، آية 9).

الحفظ ينمي الحفظ، ويثبت الكلمات بطريقة آلية غير تفاعلية، وهي عملية تعاكس الإبداع والتحرر والتنوير واستعمال العقل.

الحفظ من دون تدبر، أحد أسباب ظهور الفكر الأحادي الذي لا يقبل الوسطية، ولا يتفهم حجج الآخر

لقد ابتكر الفقهاء طرقاً للحفظ والاسترجاع واللفظ الحرفي... تصلح للعربي والفارسي والتركماني والصيني، والأجانب (غير الناطقين بالعربية) جميعاً أقدر من العربي على إجادة الحفظ، فهم يحفظون هذه النصوص عن ظهر قلب من دون معرفة أو فهم أية كلمة من هذه النصوص، وهم يتفوقون على العرب في ذلك، لأن الحفظ لا يعيقه أي عائق من الفهم المغاير للكلمة ـ غير الضروري ـ المهم الحفظ دون تأويل... هنا تصبح اللغة أداة لإنتاج النسخ البشرية، وليست أداة للتواصل الإنساني، هذا الحفظ يلغي المعاني لصالح الألفاظ المقدسة.

إن الحفظ من دون تدبر، أحد أسباب ظهور الفكر الأحادي الذي لا يقبل الوسطية، ولا يتفهم حجج الآخر، ورأي الآخر، وأحد أسباب ظهور الفتوى بدون علم حقيقي هو تطلع أنصاف المتعلمين للبت في قضايا خلافية وخطيرة، وهي خطورة اليوم في شيوع الفتاوي التي تكفر الآخر المختلف، في عقله وفهمه للنصوص. والفتوى تختلف عن الاجتهاد، لأن الاجتهاد رأي على حين أن الفتوى هي استنباط الحكم الشرعي، وقد نبه الفقهاء سابقاً ولاحقاً إلى خطورة الإفتاء من دون علم شرعي في الدين، بيد أن الاستسهال في الفتوى الآن أدى إلى ظهور فتاوى لا تليق بالمنطق ولا بالإسلام ولا بالتحضر. مثل فتوى عدم جواز انفراد المرأة مع التلفاز إذا كان الرجل هو من يقرأ نشرة الأخبار في غرفة واحدة، وعدم جواز نوم المرأة إلى الحائط، لأن الحائط مذكر! وفتوى تكفير من يلبس البنطال أو يحلق ذقنه الخ.... المعادلة عند داعش: بنطال= كافر= ذبح.

الخاتمة

عدم جواز نوم المرأة إلى الحائط، لأن الحائط مذكر! وفتوى تكفير من يلبس البنطال أو يحلق ذقنه الخ.... المعادلة عند داعش: بنطال= كافر= ذبح.

إن الدعوة إلى الحوار وتحكيم العقل والمنطق استوجبت البحث عن أسس تمكينها بين جميع أطراف الحياة السياسية والاجتماعية في سوريا، والتي تندرج في الآتي:

1. التقريب في وجهات النظر في القضايا المطروحة

للنقاش، وإقامة الجسور بين أطراف الصراع السياسي والاجتماعي.

2. اشاعة التسامح الذي يؤكد القدرة على تحمل الآخر، وقبول التنوع والاختلاف، عبر الانفتاح على الآخرين وقبول معتقداتهم، والتسامح يشمل التسامح الديني قبول الطوائف الأخرى وقبول المعتقدات الدينية المغايرة، والتسامح الفكري بقبول الاختلاف في الأفكار والمعتقدات. والتسامح الثقافي باحترام خصائص الثقافات الأخرى، والتسامح الاجتماعي في قبول الاختلاف اللوني والعرقي.

3. حيادية الدولة دينياً لمنع تشكل الطائفية، بفصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية للدولة، وتبني الدولة لحقوق المواطنة والولاء للوطن، بغض النظر عن هوية مواطنيها الدينية، وهي أساس العدل والمساواة بين أبناء الوطن الواحد.

4. اقامة نظام ديمقراطي، لأن عكس الديمقراطية هو الاستبداد؛ ولا تتحقق المساواة بين المواطنين بغياب العدالة وتكميم الأفواه.

5. إقامة مؤسسات العمل لجميع المواطنين وسيادة القانون وحرية التقاضي دون تمييز: يفتح السبيل لتجفيف منابع التطرف والإرهاب

6. الاعتراف بوجود الآخر وبحقه في إبداء الرأي والاختلاف، وهي أبسط حقوق الإنسان التي اتفقت عليها وأعلنتها الأمم المتحدة.